

المقاومة الشعبية من خلال القصيدة الشعبية
Popular Resistance through the Popular Poem

أ. د. الطيب بن دحان

جامعة طاهري محمد بشار

(الجزائر)

Bendahane.t.56@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020 / 11 / 01 تاريخ القبول: 2020 / 12 / 15

ملخص:

تكالبت الدول الغربية على الجزائر نتيجة موقعها الاستراتيجي، وبحكم قوة أسطولها لم تتمكن من النفوذ، ومع سقوط الاسطول في معركة نافرين سارعت فرنسا إلى استعمارها، إلا أن الشعب وقف لها صامداً تحت لواء المقاومة المسلحة. ساهم الشاعر الشعبي بكلماته التي كانت مخفزا للشباب، دون المعارك ونقل الأحداث، لتبقى وصمة عار في تاريخ فرنسا، وشهادة أبدية على بسالة الجزائري. الكلمات المفتاحية: استعمار؛ مقاومة؛ الجزائر؛ قصيدة شعبية؛ فرنسا.

Abstract:

The Western countries depended on Algeria as a result of its strategic position, and by virtue of the power of its fleet it was unable to gain influence, and with the fall of the fleet at the Battle of Navren, France hastened to colonize it, but the people stood by it under the banner of armed resistance. The popular poet contributed his words, which were a catalyst for young people, without battles and the transmission of events, to remain a stain in the history of France and an eternal testimony to the valor of the Algerian.

KeyWords: Colonialism; Resistance; Algeria; Popular Poem; France.

المقدمة:

منذ دخول الاستعمار الفرنسي أرض الجزائر، تعرضت المنطقة لعدم الاستقرار. ساهم سكان المنطقة في المقاومة الشعبية، اتخذوا قادتاً رمزا للعزة والكرامة، ومصدر كفاح لاسترجاع السيادة المسلوبة. استقطب زعماء المقاومة اهتمام الفنان الشعبي، صورهم ودون بطولاتهم. قدمت قبائل المنطقة خيرة ما تملك من الرجال، في مقاومة الشيخ بوعمامة تصدت للعدو مع القبائل الأخرى، وهو دليل على رفضهم لسياسة الاستعمار الذي كان يسعى إلى بسط نفوذه وهيمنته على المنطقة لكن سياسة الشيخ بوعمامة واستحابة قبائل الجنوب منشعانة وعمور وزوة وي منيع وأولاد جرير وغيرها من ساكنة الجنوب (نوزو:) إلتفوا حوله المقاومة، يقول داودي عبد الرزاق:

انظر تاريخ بوعمامة كان قريت هداوا اللي بينو الخصايل

عن حسن دوي منيع سول وبين بغيت

ورواح أمن باغي يسول

هز السلاح لبطل وداوا في نهارو

وهبوا الروح والمال على البلاد تاروا

هذه المقاومة الشعبية بالجنوب الغربي خلقت صعوبة كبيرة في إختراق حصن العبادلة مما أخر دخوله إلى المنطقة. وإذ يشيد الشاعر بهذه الشخصية لتكون قدوة للغير.

رغم قوة المستعمر نشطت حركة البدو ، والتي تقوم بغزو الفرق العسكرية والسطرعلى هوامشها وقوافلها، وقتل حراسها... خاصة بعد هجوم تاغيت في شهر أوت 1903(ساسي: 1996)

وهي السنة التي تمكن العدو من الولوج إلى العبادلة بعدما تلقى هزائم في قواته، الأمر الذي جعله يغير سياسته، ويعيد تنظيمه من جديد ليواجه قبائل المنطقة حيث بدأ يراقب نواحي أولاد جرير وذوي منيع في حوض زوزفانة شدد عليهم الخناق فاستطاعت قواته إجتياز جبل بشار في نوفمبر 1903 (ساسي: 1996)

لكن منطقة المضربين تفسر هذه المقاومة الشعبية التي دونها الشاعر الشعبي(داودي عبد الرزاق)

* خلاوالثار راه فوق المضربين

* اسم ولفن إلى أنت تحصي قصري

* خلاو الجيش باش كتلوا جينينار

* رجمو قاعدين ما زال ايبانو .

هذه الأبيات وغيرها تدلنا على أن «النص المقاوم في الشعر الجزائري كان حاضرا دائما، إذا رافق مختلف الحروب التي عرفتها البلاد (دحو: 1889).

وأحداث ماي 1945 كانت البوتقة التي انصهرت فيها الإصلاحات السياسية وجدت في قالب في قالب ثوري علمي ساهم في تفجيرها شباب الجزائر يقول الشاعر أحمد كرومي:

*شعانة قلاعين الهانة

غنامة وعمور معانا

*كل القبائل فتانة تجري يوم الزحام

*فرنسا جابت الإعانة فزعو ليها قيام

هكذا أصبح الشعر الشعبي يواكب الأحداث، يصور المعاناة التي تلقاها الشعب الجزائري، اهتزت النفس البشرية الجزرة 08 ماي 1945 وعاش المرارة أحداثها الشاعر، دونها حتى لا يمحوها النسيان لتبقى حية في ذاكرة الشعب معبرة عن تطلعه إلى تحقيق القيم النبيلة والأهداف السامية (التلي: 1983) قال أحمد كرومي:

*في 45 بدوا القتال معركة سطيف رها عبارة

*قتلت لنا شحال شلة من رجال ما عفت ما عفات هذه النكارة

*والدمعة سائلة على خدي تنهال في حراطة وقلمة دات الحارة

هذه الأحداث الأليمة جعلت الشعب يفقد ثقته في فرنسا أدرك أن الثورة هي السبيل في تحرير الوطن ، من هذا أخذ الشاعر يبعث روح المقاومة في النفوس وبذلك كان شعره وسيلة إعلامية ينقل الأحداث ويدعو إلى الجهاد، فهذه الرسالة «تغدي الحماس عند الجندي وتدفعه إلى القتال والاستماتة في الميدان (دحو: 1889)

ومع اندلاع الثورة المباركة التي كان شهر نوفمبر ميلادها، بل كان صفحة جديدة في تاريخ الجزائر. يحمل بين طياته كل معاني القيم النبيلة التي رسمها شباب الوطن، وقاموا بتجسيدها في ساحة الوغى.

يقول الشاعر أحمد كرومي:

في 54 في العدو طرطقنا لعمارة

طلعت أولاد بلادنا شدت له الكيفان

يوم أول نوفمبر ذا تاريخ الغزارة

جيش التحرير اسناه باش يدق العديان

خلقت ضربة في باتنة كبيرة نعطيك لمارة

هذا هو التصحيح فزعو يا ناس الديوان

لعل مواجهه العدو أفرزت جملة من القيم التي تحلى بها المقاتل الجزائري أبرزها :
 الشجاعة وحب الاستشهاد، والإخلاص للوطن، هذه المبادئ كانت وراء الانتصارات المحققة، حيث قدم أروع التضحيات، صال وجال في رحاب الوغي لا يبالي على أي جنب يكون مصرعه.
 عمل الدخيل على تشويه شخصية الجزائري لكن حب الحرية وعشقها كانت دافعا لشن حرب لا تكاد تخبو حتى تثور من جديد لأن من المناضل الثائر، البراءة و الصدق، و صفاء النفس (فتح الباب: 1997) فكانت دماء القوافل ضمانا للنصر، ومفخرة للوطن، فما عاد شيء يغري شهيد الوطن سوى الموت من أجل قضيته .

يقول الشاعر « سعياني بن عيسى »

رجال قايمين للحرب و متحزمين للقتال

بضرب اللغم والقرطاس يوروا لفرنسا الشد

يطيحوا الطياير اللي في الجو حسهم زلزال

اللي يعرفوا النيشان وضرب القياس في مدة

سجل الشاعر الشعبي هذه المعارك، رفع بيها معنويات الثوار، لأن حب الوطن غريزة وقدما قالوا: « لولا حب الأوطان ما عمرت البلدان »

عندما أدرك العدو قوة الثورة لم يجد مناصا سوى مطالبة الأحلاف بالتدخل.

قال : أحمد كرومي

* نادى ديغول على دول الكفارة

نوضوا عينوني راه طوال الحال

حلف الأطلسي جابوا نعارة

هذا حرب كبير ما عندو تمثال .

لم تكن وطنية المقاتل الجزائري عابرة، بل هي متجذرة الاصول، ثابتة الإغصان، شرب رحيقها من الكتاب و السنة ، لذا أدرك قيمتها

دفع ثمنها من روحه الطاهرة آمن بأن الحياة عقيدة وجهاد، وأن بلوغ المجد لا يكون إلا على حسر من التضحيات، فراح يقطع هذا الجسر على كبدة (أبو حاققة: 1997)

اقتحم المعاركلا تروجه الأهوال ، ولا يتردد في خوض مجامع الأخطار، بل يستقبل الموت بصدر رحب (الجندي: 1989)

تلقى العدو ضربات قاسية مما اذى به الى تعيين القائد بيرون Pierron. والملازمكانافي CANAVY قصده مطاردة الثوار، واتسعت رقعة المراقبة من زوزفانة إلى فير ، وتصبح بشار عاصمة المنطقة ، بمده الشجاعة أدرك العدو

قرب رحيله وهكذا أيضا أفصح بيجو قائلاً: مهما يكن لكم من جنرال أيما كانت مهارته وشهرته تتعرضون دائماً للحرب (أندري: 1984) من ثم أصبح العدو يضعف في جرائمه استعان بالأسلاك الشائكة المكهربة بعد ما عجز أمام الثوار.

حرك الشاعر الشعبي النفوس النائمة، لم يتمكن العدو، من خنق الثورة، حنق على الجماهير، وأخذ يتفنن في القتل والتعذيب: نقل الفنان الشعبي هذه المهزلة الاستعمارية قال الشيخ جماعي أحمد:

ذا الجيش دار فينا حالة

غ بالرصاص و القنبولة

وانخلصو بلا مسالة ودار الخيوط بالبيان

اصبحت عساكرو تترآكش

و بدأ في الخيام ايفتش

هذا اينوش هذا اينبشداوا الفلوس و الخرفان

ذاك النهار لمواالغاشي

طار الصحيح ، وبقى الراشي

ولوخر في السلوك مطاشي

محروس في جوج حيطان

يعطوه جهد الكورة

الناس كاملة محجورة

ويقروه بللي كان

رغم كل الوسائل التي جربها في المقاتلين الجزائريين إلا أنه لم يتمكن من القضاء على هذه الروح الوطنية، ثم لجأ إلى السجن عساه يصل إلى مبتغاه، اعتقاداً منه بأن هذا التصرف برغم بواصل الجزائر على التخاذل لكن الجزائري يرى أن السجن مدرسة فيما يتعلم المهضومون كيف يقاوم الاستبداد، بهذه البسالة كانت ثورته مقدسة، و مطلبه شرعي، وبها أيضا تسقط أحلام المستعمر «الجزائر فرنسية» ومنها يخرج نادماً منهزماً . وإذ يصور الشاعر هذه المشاهد ليغرس روح المواطنة في نفوس الأبناء لأن الوطن دم يدب في عروق أهله.

قال الشاعر:

راه الفلك يدور بنا يتخرر

راه الوطن عزيز ما عنده ثمان

ياك الحر عليه عظم يتكسر

والخاطي وطنه ما عنده شان

ويتسمى مذلول ديمًا يتحقر

لعل الثورة حركت وجدانه، ونوعت مجالات إبداعه، فرضت عليه الأحداث أن يعيش وقائعها فأصبح نائراً معبراً عن مواقف وطنه نقشها في القلوب النائرة هكذا ظلمت الثورة التحريرية «متأججة في القلوب كآمنة في الأحشاء، ملتبهة في النفوس، وكان لهدم الملباسات والعوامل التي أحاطت بالثورة أثرها في الشعر الشعبي» 11

زادت من إذكاء المواطنة، هب الشباب لمناصرتها في كل جهات الوطن، وجاء الشاعر المنطقة ليرفع من معنوياتهم

.قال الشاعر سعيداني بن عيسى :

مازال ومازال يتبعوك رجال الشمشارة

وبن ما طرت يصيدوك الشرفة لحرار

بالله والنبي بيتك يعود إشارة

وعلى جهد الشوفة يهرسوك المدافع لكبار

إن الانتصارات التي حققها الشعب تحت راية نوفمبر استلهمتها الشاعر معانيه ، جاءت قصائده معبرة عن هذا التفوق. لعل لذة النصر ونشوة الفوز تحرك المشاعر وتشير الأحاسيس في نفوس الشعراء وتلهمهم المعاني المشرقة. وهذا الشاعر أحمد كرومي عاش أحداث الثورة المجيدة نقل معركة كانت منطقة بشار مسرحاً لها، صدر بسالة جيش التحرير ضد العدو ومدجج بأسلحة فتاكة لكن إدارة المحارب الجزائري كانت أقوى من ذلك يقول:

من تحت جبل بشار في المراح ضربه طيارة

خلاو العساكر خانزة تكوح في الوديان

قصة جبل قروز فازعة بطنوك وطيارة

وجدت ليها تسعة معينة من ناس الديوان

في حاسي تيمكناسسركلت على اليمين ويسارة

قتلت ليها شلة معينة غير فلان وفلان

بهذه الوطنية قدم أبناء الجزائر أنفسهم رخيصة وفي معركة لم تكن متكافئة سقط العقيد لطفي مع الرائد فراج

وآخرون، وكان جبل بشار شاهداً على ذلك يقول الشاعر:

في 27 في الجبل قادات النيران

استشهد ليها لطفي مع أبطال اللوم الصبارة

كي جانا وأبكيت وابكاو الجيران

في تاريخ الستين مات ليها بطل غزارة

وإيماننا منهمبأن الموت خاتمة المطاف وإن كان الحي آية الجمال، ولا يعون الإنسان إلا بأجله،

قال الشاعر ابن علي بلال:

العبد ما يموت إلا عند زمام

علاش ذاك الذل ما رضينا به

واللي حيا يبقى الرأس معلبه

الخاتمة:

بهذه المعاني ساهم الشاعر الشعبي في تحرير وطنه وتغيير المنكر بلسانه وذلك أضعف الإيمان .

و إذ يفتخر بهذه الشخصيات لأنه يسعى إلى غرس روح المواطنة بين الأجيال قصد المحافظة على الوطن ، قال

الشاعر الشعبي فلاح لخضر :

خذ تاريخك مني قيدو في الكراس

وتحلا صونو يا شباب لا ايزيفوهاالعديان

نبدأ لك بالامير شكون ما يعرف ذا التراس

و أحمد باي أصحابي ماذا دار في الخزيان

حاربو النصرارى طهروا وطنهم من لرجاس

ذوقوهم سم السيف هربوا قدامهم الشجعان

واحة الزعاطشة يبست الرومي تيباس

كان قايدها يا سامعين بطل اسم بوزيان

بوعمامة تعرف كل يوم في قومه سياس

و نحصر كولووزيل في وهران و تلمسان .

هكذا يريد الشاعر الشعبي من شباب اليوم ، يحافظون على تاريخهم المجيد .

فرحم الله معشر الشهداء ، وجزاهم عنا خير الجزاء، الخلود للشهداء والعزة للشعب والوطن.

قائمة المراجع:

- 1 - ابراهيم مياسي: توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري 1881-1912 ، ومنشورات للمجاهد 1996.
- 2 - أحمد أبوحاقة : الالتزام في الشعر العربي ، دار العلم للملايين، بيروت (1979).
- 3 - التليين الشيخ : دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة 1830-1945 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر .
- 4 - حسن فتح الباب: مفدي زكرياء شاعر الثورة الجزائرية، المعرفة اللبنانية، ط1 (1997).
- 5 - عبد الحميد زوزو: ثورة بوعمامة 1881-1908.
- 6 - العربي دحو: الشعر الشعبي ودوره في الثورة التحريرية الكبرى من منطقة الأوراس، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائري 1889.
- 7 - علي الجندي : شعر الحرب في العصر الجاهلي، دار الفكر العربي (1989).
- 8 - لاندري بريناو أندري نوش ايف لاكوسى: الجزائر بين الماضي والحاضر ، ترجمة اسطنبول رابح ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر (1984) .

الهوامش¹:

- 1- عبد الحميد زوزو: ثورة بوعمامة 1881-1908 ص 1 بتصرف.
- 2- ابراهيم مياسي: توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري 1881-1912 ، و منشورات للمجاهد 1996 ص 118
- 3- المرجع نفسه
- 4- العربي دحو: الشعر الشعبي ودوره في الثورة التحريرية الكبرى من منطقة الأوراس، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائري 1889، 50/1.
- 5- التليين الشيخ : دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة 1830-1945 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1983 ص 64
- 6- العربي دحو : الشعر الشعبي. 50/1
- 7- حسن فتح الباب: مفدي زكرياء شاعر الثورة الجزائرية، المعرفة اللبنانية، ط1 (1997) ص 41.
- 8- أحمد أبوحاقة : الالتزام في الشعر العربي ، دار العلم للملايين، بيروت (1979) ص 281.
- 9- علي الجندي : شعر الحرب في العصر الجاهلي، دار الفكر العربي (1989) ص 94.
- 10- لاندري بريناو أندري نوش ايف لاكوسى: الجزائر بين الماضي والحاضر ، ترجمة اسطنبول رابح ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر (1984) ص 246.